

الباب الحادي والخمسون

فى آداب المرید مع الشيخ

أدب المریدین مع الشیوخ عند الصوفیة من مهام الآداب، وللقوم فى ذلك اقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه. وقد قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

روى عن عبد الله بن الزبير قال: قدم وفد على رسول الله ﷺ من بنى تميم، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس. فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي. وقال عمر: ما أردت خلافتك.. فتماريا حتى ارتفع صوتهما، فأنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا..﴾ الآية.

قال ابن عباس - رضى الله عنه - : لا تقدموا: لا تتكلموا بين يدي كلامه.. وقال جابر: كان ناس يضحون قبل رسول الله ﷺ، فنهوا عن تقديم الأضحية على رسول الله ﷺ.

وقيل: كان قوم يقولون: لو أنزل فى كذا.. وكذا.. فكره الله ذلك. وقالت عائشة رضى الله عنها - : أى لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم. وقال الكلبى: لا تسبقوا رسول الله ﷺ بقول: ولا فعل، حتى يكون هو الذى يأمركم به.

وهكذا أدب المرید مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار.. لا يتصرف فى نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره..

وقد استوفينا هذا المعنى فى باب «المشيخة».

وقيل: لا تقدموا: لا تمشوا بين يدي رسول الله ﷺ.

وروى أبو الدرداء قال: كنت أمشى أمام أبى بكر، فقال لى رسول الله ﷺ «تمشى أمام من هو خير منك فى الدنيا والآخرة»^(٢).

وقيل: نزلت فى أقوام كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ، فإذا سئل الرسول عليه السلام عن شىء خاضوا فيه، وتقدموا بالقول والفتوى، فنهوا عن ذلك.

(١) أول سورة الحجرات.

(٢) متفق عليه.

وهكذا أدب المرید فی مجلس الشیخ، ینبغی أن یلزم السکوت، ولا یقول شیئاً بحضرتہ من کلام حسن إلا إذا استأمر الشیخ، ووجد من الشیخ فسحة فی ذلك.

وشأن المرید فی حضرة الشیخ کمن هو قاعد علی ساحل بحر ینتظر رزقاً یساق إلیه :

فتطلعه إلی الاستماع وما یرزق من طریق کلام الشیخ یحقق مقام إرادته وطلبه واستزادته من فضل الله.. وتطلعه إلی القول یرده عن مقام الطلب والاستزادة إلی مقام إثبات شیء، لنفسه. وذلك جنایة المرید وینبغی ان یرد من حاله یرزق منه یشکشف عنه بالسؤال من الشیخ.

علی أن الصادق لا یحتاج إلی السؤال باللسان فی حضرة الشیخ، بل یبادئه بما یرید؛ لأن الشیخ یرد عن مستنطقاً نطقه بالحق، وهو عند حضور الصادقین یرفع قلبه إلی الله، ویستمطر، ویستسقی لهم؛ فیکون لسانه وقلبه فی القول والنطق مأخوذین إلی مهم الوقت من أحوال الطالبین المحتاجین إلی ما یفتح به علیه: لأن الشیخ یعلم تطلع الطالب إلی قوله واعتداده بقوله.

والقول کالبذر یقع فی الأرض؛ فإذا کان البذر فاسداً لا یُنبت، وفساد الکلمة بدخول الهوی فیها..

فالشیخ یُنقی بذكر الکلام عن شوب الهوی، ویسلمه إلی الله، ویسأل الله المعونة والسداد، ثم یقول فیکون کلامه بالحق، من الحق، للحق.

فالشیخ للمریدین أمین الإلهام.. كما أن جبریل أمین الوحی، فکما لا یخون جبریل فی الوحی لا یخون الشیخ فی الإلهام.

وکما أن رسول الله ﷺ لا ینطق عن الهوی، فالشیخ مقتدٍ برسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، لا یتکلم بهوی النفس.

وهوی النفس فی القول بشیئین: أحدهما: طلب استجلاب القلوب وصرف الوجوه إلیه، وما هذا من شأن الشیوخ.

والثانی: ظهور النفس باستحلاء الکلام والعُجب، وذلك خیانة عند المحققین.

والشیخ فیما یجرى علی لسانه راقد النفس تشغله مطالعة نعم الحق فی ذلك، فاقدر الحظ من فوائد ظهور النفس بالاستحلاء والعُجب؛ فیکون الشیخ لما یجریه الحق سبحانه وتعالی علیه مستمعاً كأحد المستمعین.

وكان الشيخ أبو السعود - رحمه الله تعالى - يتكلم مع الأصحاب بما يُلقى إليه، وكان يقول: أنا في هذا الكلام مستمع كأحدكم. فأشكل ذلك على بعض الحاضرين، وقال: إذا كان القائل هو يعلم ما يقول، كيف يكون كمستمع لا يعلم حتى يسمع منه؟.. فرجع إلى منزله، فرأى ليلته في المنام كأن قائلاً يقول له: أليس الغواص يغوص في البحر لطلب الدر؟

ويجمع الصدف في مخلاته، والدرّ قد حصل معه، ولكن لا يراه إلا إذا خرج من البحر، ويشاركه في رؤية الدرّ من هو على الساحل؟. ففهم بالمنام إشارة الشيخ في ذلك. فأحسن أدب المريّد مع الشيخ السكوت والخمود والجمود؛ حتى يبادئه الشيخ بماله فيه من الصلاح قولاً وفعلاً.

وقيل أيضاً في قوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١): لا تطلبوا منزلةً وراء منزلته. وهذا من محاسن الآداب وأعزها.

وينبغي للمريّد أن لا يحدث نفسه بطلب منزلة فوق الشيخ، بل يحب للشيخ كلّ منزلة عالية، ويتمنى للشيخ عزيز المنح، وغرائب المواهب، وبهذا يظهر جوهر المريّد في حسن الإرادة، وهذا يعزّز في المريّدين؛ فأراداته للشيخ تعطيه فوق ما يتمنى لنفسه، ويكون قائماً بأداب الإرادة:

قال السريّ - رحمه الله - حسن الأدب ترجمان العقل.

وقال أبو عبد الله بن حنيف: قال لي رويم: يا بنى اجعل عمك ملحاً وأدبك دقيقاً. وقيل: التصوّف كله أدب؛ لكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب؛ فمن يلزم الأدب يبلغ الرجال، ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يرجو القبول.

ومن تأديب الله تعالى أصحاب رسول الله ﷺ قوله تعالى ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾^(٢): كان ثابت بن قيس بن شماس في أذنه وقر، وكان جهورى الصوت، فكان إذا كلم إنساناً جهر بصوته، وربما كان يكلم النبي ﷺ فيتأذى بصوته، فأنزل الله تعالى الآية تأديباً له ولغيره.

(١) سورة الحجرات الآية ١.

(٢) سورة الحجرات الآية ٢.

أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي، قال: أخبرنا أبو الفتح الهروي، قال: أخبرنا أبو نصر الترياقى، قال: أخبرنا أبو محمد الجراحى، قال: أخبرنا أبو العباس المحبوبي، قال: أخبرنا أبو عيسى الترمذى قال: حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا مؤمل بن إسماعيل، قال: حدثنا نافع بن عمر بن جميل الجمحى، قال: حدثنى حابس بن أبى مليكه، قال: حدثنى عبد الله بن الزبير: أن الأقرع بن حابس قدم على رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: استعمله على قومه. فقال عمر: لا تستعمله يا رسول الله. فتكلما عند النبي ﷺ حتى علت أصواتهما. فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافى. وقال عمر: ما أردت خلافك فأنزل الله تعالى الآية. فكان عمر بعد ذلك إذا تكلم عند النبي ﷺ لا يسمع كلامه حتى يستفهم.

وقيل: لما نزلت الآية إلى أبى بكر أن لا يتكلم عند النبي ﷺ إلا كأخ السرار. فهكذا ينبغى أن يكون المرید مع الشيخ؛ لا ينبسط برفع الصوت وكثرة الضحك وكثرة الكلام إلا إذا بسطه الشيخ.

فرجع الصوت تنحية جلباب الوقار^(١).

والوقار إذا سكن القلب عقل اللسان ما يقول: وقد ينزل باطن بعض المريدين من الحرمة والوقار من الشيخ ما لا يستطيع المرید أن يشبع النظر إلى الشيخ وقد كنت «أحم»^(٢) فيدخل على عمى وشيخى أبو النجيب السهروردى رحمه الله - فيترشح جسدى عرقاً. وكنت أتمنى العرق لتخف الحمى - فكنت أجد ذلك عند دخول الشيخ على، ويكون فى قدومه بركة وشفاء.

وكنت ذات يوم فى البيت خالياً، وهناك منديل وهبه لى الشيخ، وكان يتعمم به، فوقع قدمى على المنديل اتفاقاً، فتألم باطنى من ذلك، وهالنى الوطه بالقدم على منديل الشيخ، وانبعث من باطنى من الاحترام ما أرجو بركته.

قال ابن عطاء فى قوله تعالى ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ زجر عن الأدنى؛ لئلا يتخطى أحد إلى ما فوقه من ترك الحرمة.

وقال سهل فى ذلك: لا تخاطبوه إلا مستفهمين.

(١) وفى نسخة: تنحية جلباب الوقار، وتستقيم العبارة إذا كانت .. فرجع الصوت تنحية القلب جلباب الوقار.

(٢) أى: أمرض بالحمى.

وقال أبو بكر بن طاهر: لا تبدءوه بالخطاب، ولا تجيبوه إلا على حدود الحرمة، ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾^(١). أى: لا تغلظوا له فى الخطاب، ولا تتادوه باسمه: يا محمد، يا أحمد كما ينادى بعضكم بعضاً، ولكن فخموه، واحترموه وقولوا له: يا نبي الله.. يا رسول الله.

ومن هذا القبيل يكون خطاب المرید مع الشيخ، وإذا سكن الوقار القلب علم اللسان كيفية الخطاب.

ولما كلفت النفوس بمحبة الأولاد والأزواج وتمكنت أهوية النفوس والطباع استخرجت من اللسان عبارات غريبة وهى تحت وقتها صاغها كلف النفس وهواها، فإذا امتلأ القلب حرمة ووقاراً تعلم اللسان العبارة.

وروى: لما نزلت هذه الآية قعد ثابت بن قيس فى الطريق يبكى، فمر به عاصم بن عدى، فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ قال: هذه الآية أتخوف أن تكون قد نزلت فى: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٢).

وأنا رفيع الصوت على النبي ﷺ أخاف أن يحبط عملى وأكون من أهل النار.. فمضى عاصم إلى رسول الله ﷺ وغلب ثابئاً البكاء، فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبى سلول، فقال لها: إذا دخلت بيت فرسى فسدى على الضبة بمسمار، فضربته بمسمار، حتى إذا خرجت عطفته^(٣)، وقال:

لا اخرج حتى يتوفانى الله أو يرضى عنى رسول الله ﷺ.

فلما أتى عاصم النبى، وأخبره بخبره قال: «أذهب فادعه».

فجاء عاصم إلى المكان الذى فيه رآه.. فلم يجده. فجاء إلى أهله فوجده فى بيت الفرس فقال له:

إن رسول الله ﷺ يدعوك، فقال: اكسر الضبة.. فأتى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا ثابت؟». فقال: أنا صيت^(٤) وأخاف أن تكون هذه الآية نزلت فى فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تعيش سعيداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟».

(١) سورة الحجرات الآية ٢.

(٢) سورة الحجرات الآية ٢.

(٣) عطفته: أى أمالت المسمار زيادة فى الإحكام والغلق.

(٤) قوى الصوت رفيعه.

فقال: قد رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله، ولا أرفع صوتي أبداً على رسول الله ﷺ،
فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ..﴾^(١).

قال أنس: كنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشى بين أيدينا.. فلما كان يوم اليمامة،
في حرب مسيلمة، رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار.. وانهزمت طائفة منهم،
فقال: أفٍ لهؤلاء وما يصنعون!!

ثم قال ثابت لسالم بن حذيفة: ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله ﷺ مثل هذا!!
ثم ثبتا.. ولم يزالا يقاتلان حتى قتلا، واستشهد ثابت كما وعده رسول الله ﷺ وعليه
درع، فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام فقال له: اعلم أن فلانا.. رجل من
المسلمين نزع درعى فذهب بها وهو في ناحية من العسكر وعنده فرس يستنّ فى طيله،
وقد وضع لى درعى برمة، فأت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعى، وأت
أبا بكر- خليفة رسول الله ﷺ فقل له: إن على ديننا حتى يقضى عنى. وفلان من
عبيدى- عتيق.

فأخبر الرجل خالدًا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه، فاستردّ الدرع.
وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا، فأجاز أبو بكر وصيته.

قال مالك بن أنس: لا أعلم وصية أجزيت بعد موت صاحبها إلا هذه، كرامة ظهرت
لثابت، بحسن تقواه وأدبه مع رسول الله ﷺ.

فليعتبر المرید الصادق ويعلم أن الشيخ عنده تذكرة من الله ورسوله، وأن الذى يعتمده
مع الشيخ عوض ما لو كان فى زمن رسول الله ﷺ واعتمده مع رسول الله ﷺ.

فلما قام القوم بواجب الأدب أخبر الحق عن حالهم وأثنى عليهم، فقال: ﴿أُولَئِكَ
الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾^(٢) أى: اختبر قلوبهم، وأخلصها، كما يمتحن الذهب
بالتار فيخرج خالصه، وكما أن اللسان ترجمان القلب، وتهذب اللفظ لتأدب القلب،
فهكذا ينبغي أن يكون المرید مع الشيخ.

(١) آية رقم ٣ من سورة الحجرات.

(٢) من آية رقم ٣ من سورة الحجرات.

قال أبو عثمان: الأدب عند الأكابر وفي مجالسة السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلا، والخير في الأول والعقبى. ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾^(١).
ومعاً علمهم الله تعالى قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٢).

وكان هذا الحال من وفد بنى تميم، جاءوا إلى رسول الله ﷺ، فنادوا: يا محمد، اخرج إلينا؛ فإن مدحنا زين، وذمنا شين. قال: نسمع رسول الله ﷺ.. فخرج إليهم وهو يقول: «إنما ذلكم الله الذي ذمه شين ومدحه زين». في قصة طويلة.. وكانوا أتوا بشاعرهم وخطيبهم فغلبهم حسان بن ثابت وشبان المهاجرين والأنصار بالخطبة.
وفي هذا تأدب للمريد في الدخول على الشيخ والإقدام عليه، وتركه الاستعجال، وصبره إلى أن يخرج الشيخ من موضع خلوته.

سمعت أن الشيخ عبد القادر - رحمه الله - كان إذا جاء إليه فقير زائر، يخبر بالفقير، فيخرج.. ويفتح جانب الباب ويصافح الفقير، ويسلم عليه، ولا يجلس معه، ويرجع إلى خلوته.

وإذا جاء أحد ممن ليس من زمرة الفقراء يخرج ويجلس معه..

فخطر لبعض الفقراء نوع إنكار، لتركه الخروج إلى الفقير، وخروجه لغير الفقير، فانتهى ما خطر للفقير إلى الشيخ، فقال: الفقير رابطتنا معه رابطة قلبية، وهو أهل، وليس عنده أجنبية، فنكتفى معه بموافقة القلوب ونقنع بها، عن ملاقة الظاهر - بهذا القدر، وأما من هو من غير جنس الفقراء، فهو واقف مع العادات والظاهر، فمتى لم يوف حقه من الظاهر استوحش، فحق المريد عمارة الظاهر والباطن بالأدب مع الشيخ.

قيل لأبي منصور المغربي: كم صحبت أبا عثمان؟ قال: خدمته، لا صحبتته، فالصحبة مع الإخوان والأقران، ومع المشايخ الخدمة.

وينبغي للمريد أنه كلما أشكل عليه شيء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام: كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى، وإذا أخبره الخضر بسرّها يرجع موسى عن إنكاره.

(١) آية رقم ٥ من سورة الحجرات.

(٢) آية رقم ٤ من سورة الحجرات.

فما ينكره المريد؛ لقلّة علمه بحقيقة ما يوحد من الشيخ، فللشيخ فى كل شىء عذر بلسان العلم والحكمة.

سأل بعض أصحاب الجنيد مسألة عن الجنيد، فأجابه الجنيد.. فعارضه فى ذلك!! فقال الجنيد: فإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون. فقال بعض المشايخ من لم يعظم حرمة من تآدّب به حرم بركة ذلك الأدب.

وقيل: من قال لأستاذه: لا، لا يفلح أبداً.

أخبرنا شيخنا ضياء الدين عبد الوهاب بن على، قال: أخبرنا أبو الفتح الهروى، قال: أخبرنا أبو نصر الترياقى قال: أخبرنا أبو محمد الجراحى قال: أخبرنا أبو العباس المحبوبى، قال: أخبرنا أبو عيسى الترمذى، قال: حدثنا هناد، عن أبى معاوية، عن الأعمش، عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «اتركونى ما تركتكم، وإذا حدثتكم فخذوا عنى، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم».

قال الجنيد - رحمه الله: رأيت مع أبى حفص النيسابورى إنساناً كثير الصمت، لا يتكلم. فقلت لأصحابه: من هذا؟

فقيل لى: هذا إنسان يصحب أبا حفص ويخدمنا، وقد أنفق عليه مائة ألف درهم كانت له، واستدان مائة ألف أخرى أنفقها عليه، ما يسوّغ له أبو حفص أن يتكلم بكلمة واحدة.

وقال أبو يزيد البسطامى: صحبت أبا على السندى، فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه، وكان يعلمنى التوحيد، والحقائق صرفاً.

وقال أبو عثمان: صحبت أبا حفص وأنا غلام حدث، فطردنى وقال: لا تجلس عندى. فلم أجعل مكافأتى له على كلامه أن أولى ظهرى إليه، فانصرفت أمشى إلى خلف ووجهى مقابل له حتى غبت عنه، واعتقدت أن أحفر لنفسى بثراً على بابه، وأنزل، وأقعده فيه ولا أخرج منه إلا بإذنه.. فلما رأى ذلك منى قربنى، وقبلنى، وصيرنى من خواص أصحابه إلى أن مات - رحمه الله -

ومن آدابهم الظاهرة: أن المريد لا يبسط سجادته مع وجود الشيخ إلا لوقت الصلاة؛ فإن المريد من شأنه التبتل للخدمة، وفى السجادة إيماءً إلى الاستراحة والتعزز.

ولا يتحرك في السماع مع وجود الشيخ إلا أن يخرج عن حدّ التمييز، وهيبة الشيخ تملك المرید عن الاسترسال في السماع وتقيده.

واستغراقه في الشيخ بالنظر إليه، ومطالعة موارد فضل الحق عليه أنجع له من الإصغاء إلى السماع ومن الأدب، أن لا يكتم على الشيخ شيئاً من حاله، ومواهب الحقّ عنده، وما يظهر له من كرامة وإجابة. ويكشف للشيخ من حاله ما يعلم الله تعالى منه، وما يستحي من كشفه يذكره إيماءً وتعريضاً؛ فإن المرید منى انطوى ضميره على شيء لا يكشفه للشيخ تصريحاً أو تعريضاً يصير على باطنه منه عقدة في الطريق، وبالقول مع الشيخ تنحلّ العقدة.

ومن الأدب: أن لا يدخل في صحبة الشيخ إلا بعد علمه بأن قيمه بتأديبه وتهذيبه، وأنه أقوم بالتأديب من غيره.

ومتى كان عند المرید تطلع إلى لشيخ آخر لا تصفو صحبته ولا ينفذ القول فيه، ولا يستعد باطنه لسراية حال الشيخ فيه؛ فإن المرید كلما أيقن تفرّد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته، والمحبة والتألف مع الواسطة بين المرید والشيخ.

وعلى قدر قوة المحبة تكون سراية الحال؛ لأن المحبة علامة التعارف، والتعارف علامة الجنسية، والجنسية جالبة للمرید حال الشيخ أو بعض حاله.

أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن سليمان، قال أخبرنا أبو الفضل حميد؛ قال: أخبرنا الحافظ أبو نعيم، قال: حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا أنس، قال: حدثنا عتبة بن رزين، عن أبي أمامة الباهلي، عن رسول الله ﷺ قال «مَنْ عَلَّمَ عَبْدًا آيَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ مَوْلَاهُ، يَنْبَغِي لَهُ أَنْ لَا يَخْذَ لَهُ، وَلَا يَسْتَأْثِرَ عَلَيْهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ فَصَمَ عُرْوَةَ مِنْ عَرَى الْإِسْلَامِ»^(١).

ومن الأدب: أن يراعى خطرات الشيخ في جزئيات الأمور كلياتها، ولا يستحقر كراهة الشيخ ليسيّر حركاته معتمداً على حسن خلق الشيخ وكمال حلمه ومداراته.

قال إبراهيم بن شيبان: كنا نصحب أبا عبد الله المغربي ونحن شبان يسافر بنا في البراري والفلوات، وكان معه شيخ اسمه «حسن» وقد صحبه سبعين سنة، فكان إذا جرى من أحدنا خطأ وتغيّر الشيخ تتشفع إليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا إلى ما كان.

(١) رواه ابن حبان والدارقطني.

ومن أدب المريد مع الشيخ: أن لا يستقل بوقائعه وكشفه دون مراجعة الشيخ؛ فإن الشيخ علمه أوسع وبابه المفتوح إلى الله أكبر.

فإن كان واقعة المريد من الله تعالى يوافقها الشيخ ويمضيها له، وما كان من عند الله لا يختلف.

وإن كان فيه شبهة تزول الواقعة بطريق الشيخ، ويكتسب المريد علماً بصحة الوقائع والكشوف.

فالمرید لعله في واقعه يخامره كمن إرادة في النفس، فيتشبه كمن الإرادة بالواقعة مناماً كان ذلك أو يقظةً، ولهذا سرّ عجيب، ولا يقوم المريد باستئصال شأفة الكامن في النفس، وإذا ذكره للشيخ فما في المريد من كمن إرادة النفس منقود في حق الشيخ، فإن كان من الحق يتبرهن بطريق الشيخ.

وإن كان ينزع واقعه إلى كمن هو النفس تزول وتبرأ ساحة المريد، ويتحمل الشيخ ثقل ذلك لقوة حاله، وصحة إيوائه إلى جناب الحق وكمال معرفته.

ومن الأدب مع الشيخ: أن المريد إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو أمر دنياه لا يستعجل بالإقدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه، حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولسماع كلامه وقوله متفرغ، فكما أن للدعاء أوقاً وآداباً وشروطاً - لأنه مخاطبة لله تعالى - فللقول مع الشيخ أيضاً آداب وشروط؛ لأنه من معاملة الله تعالى -

ويسأل الله تعالى قبل الكلام مع الشيخ التوفيق، لما يحب من الأدب، وقد نبه الحق سبحانه وتعالى على ذلك فيما أمر به أصحاب رسول الله ﷺ في مخاطبته فقال ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ﴾^(١) يعني: أمام مناجاتكم.

قال عبد الله بن عباس: سأل الناس رسول الله ﷺ، فأكثرُوا، حتى شقوا عليه وأحفوه بالمسألة؛ فأدبهم الله تعالى، وفطمهم عن ذلك، وأمرهم أن لا يناجوه حتى يقدموا صدقة.

وقيل: كان الأغنياء يأتون النبي ﷺ ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره النبي عليه الصلاة والسلام طول حديثهم ومناجاتهم؛ فأمر الله تعالى بالصدقة عند المناجاة، فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته.

(١) آية رقم ١٢ من سورة المجادلة.

فأما أهل العُسرة فلأنهم لم يجدوا شيئاً، وأما أهل اليسرة فيخلوا وصفوا، فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، ونزلت الرخصة: وقال تعالى ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾^(١).

وقيل: لما أمر الله بالصدقة لم يناج رسول الله ﷺ إلا على بن أبي طالب، فقدم ديناراً.. فتصدق به.

وقال على: في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي.. وروى أن رسول الله ﷺ لما نزلت الآية دعا علياً وقال: «ما ترى في الصدقة، كم تكون؟ ديناراً؟».

قال على: لا يطيقونه. قال: كم؟ قال على: تكون حبة أو شعيرة، فقال رسول الله ﷺ: «إنك لزهيد».

ثم نزلت الرخصة ونسخت الآية.

وما نبه الحق عليه بالأمر بالصدقة، وما فيه من حسن الأدب، وتقبيد اللفظ والاحترام ما نسخ، والفائدة باقية.

أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن سليمان، قال: أخبرنا أبو الفضل أحمد، قال: أخبرنا الحافظ أبو نعيم، قال: حدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا مطلب بن شعيب، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل، عن عبادة بن الصامت قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس منا من لم يُجلِّ كبيرنا ويرحم صغيرنا، ويعرف لعائلنا حقه»^(٢).

فاحترام العلماء توفيق وهداية، وإهمال ذلك خذلان وعقوق.

(١) آية رقم ١٣ من سورة المجادلة.

(٢) متفق عليه.